الوحدة النصية وعلاقتها بالنمط اللغوى الكبير

دراسة نظرية فى ضوء اللسانيات النصية

*دكتور محمد فيصل

Abstract

The text is larger pattern of any language; it consists smaller units of a language. The Aristotle was among the earliest who discussed the unity of text, then letter on Arabian scholars especially philosophers started to relate it with Quranic text and analysis it according this concept; even some of them claim that the unity of Quranic text is the only reason in its "*Ijaaz"*. And more then that there were some others who discussed its different aspects in Arabic poetry and prose in the same time.

On the other hand the western scholar studied the same "textual unity" in different ways in modern textual linguistics by defining the "unity" as a larger pattern of text.This work will discuss the all aspects of textual unit and its relations with larger pattern in the light of textual linguistics.

Key words: Definition of unit, aspects of unit, Elements of textual unit, Textual Units in Arabic, Larger pattern of Text in Modern linguistics, Conclusion and results

فإن الوحدة النصية من القضايا النقدية التي يثيرها النقاد في زماننا قضية "الوحدة العضوية" في العمل الأدبي، وهي قضية تتصل بالفن الأدبي والنقدي في التراث العربي القديم والحديث. ونظرة النقاد العرب إلى هذا الفن، وتقديرهم للوحدة بين أجزائه، بداية من ثنائية اللفظ والمعنى حتى إلى أن العمل الأدبي، بل الأعمال الأدبية المختلفة لها وحدة عضوية؛ لذلك اعتبروا النص القرآني المقدس كلّ موحد. فمفهوم الوحدة النصية/العضوية عندهم واسع جدا؛ لذلك عرّفوها: "بأن يكون النص عملاً متكاملاً، وبنيةً عضويةً حيةً تتفاعل مع بعضها تفاعل الأعضاء المختلفة في الجسم الحي، فيصبح النص عضوية ذات بنية حية تامة الخلق والتكوين"[1]. وعرّف بعض الآخرين بأنها صورة تمكّن الشاعر من إكمال الفكرة والعاطفة في حالة التعقيد والتداخل والاتساع، كما تمنح المتلقي قدرة على معاينة شمولية للفكرة والعاطفة، ويتحقق ذلك باتحاد تام لأجزاء القصيدة، فتصبح في أعلى

---

* المحاضر بكلية اللغة العربية بالجامعة الاسلامية العالمية إسلام آباد باكستان.

مستوى فني لها يؤثّر على النفس والوجدان؛ ولهذا تسمى هذه الوحدة بالعضوية، تشبيها لها بأعضاء الجسم ،فهي تحمل رسالة كلّيبة شاملة لقصيدة أو نص ما، فمهنا سُميت بالوحدة النصية[2].

وأول من صرف أذهان المفكرين إلى هذا الجانب هو الفلسفي العظيم "أرسطو" الذى أثار قضية "وحدة القصيدة"، واشترط في المسرحية "حبكة". فالحبكة عنده هي الخيط الذى لانراه لكنه يشدّ كامل مكوّنات العمل المسرحي ويحفظ ترابطها فيما بينها؛ لذلك شبّه أجزاء المسرحيّة بالكائن الحي، بحيث لا يصح تقديم حدثٍ أو تأخيره أو حذفه، فالأحداث تترابط ترابطاً عضويّاً[3].

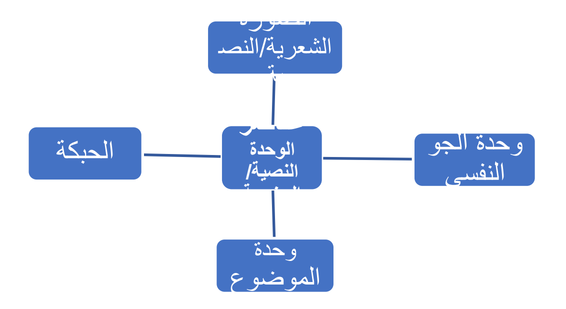
فإذا كانت جذور الوحدة العضوية راسخة وعميقة في التراث اليوناني القديم، فإن من جاء بعدهم واطلع على تراثهم العلميّ، واستفاد بأرآءهم الأدبية والنقدية، وتأثربهم، وقلّدهم تقليدا ختميا حتى ظهرت أجيال ينتهى سندهم في العلم والأصول العلمية إلى التراث اليوناني، لذلك يقولون "وجذور هذه القضية عند اليونان" ولاسيما عند أفلاطون أرسطو، أي أنهم تصرّفوا في أخذ العلم منهم، بل سرقوا العلم، والأصول ونسبوها إليهم، كما فعل العالم الغربي الحديث في بداية النهضة العلمية. وقد إزداد الأمر اهتماما في النصف الثاني من القرن الماضي بظهور اللسانيات الحديثة، وخاصة بظهور علم اللغة النصي أطلقوا على الوحدات النصية الأبنية الصغرى والأبنية الكبرى لنص ما، ثمّ في الثمانينات أطلق عليها السالكي[4] مصطلح "النمط الكبير" لنص ما.[5]

فعندما وصل الأمر إلى العرب المحدثين الذين تتلمذوا في الجامعات الأروبية، واتقنوا هذا المجال بأكثر من لغة، قاموا برد شديد على من أنكر وجود هذه الدراسات في النحو العربي، واتهم النحاة القدماء على أنهم كانوا نحاة الجملة ولم يكونوا يهتمون بالوحدة النصية بأكملها، وفي هذا الصدد قاموا بترجمة كتب علماء الغرب لمعرفة أصولهم النصية، فانكشف لهم أن غير العرب كانوا يتعاملون مع نصوصهم بأساليب ومعايير العرب التي كانت تستعمل في الأحكام النقدية لنصوصهم العربية من حيث الجودة والرداءة، ومن حيث البلاغة والفصاحة،

والفصل والوصل، والمقام الذى يقال فيه الكلام، والسبك النصى، والترابط أو التناسب بين النصوص عامة والنص القرآنى خاصة، فوجدوا أن التراث العربى مليئ بمثل هذه القضايا النصية، وخاصة تطورت مثل هذه الدراسات فى رحاب النص القرآنى المقدس الذى يحمل رسالة التوحيد، فلا عجب أن للنص القرآنى إنسجام تام، وتناسق كامل بين الآيات والسور بحيث يرمى هذا الإنسجام إلى هدف كلى واحد يندرج تحته مقصد واحد، لا ينفك عنه النص القرآنى المقدس، وهكذا فى كل النصوص الأدبية.

عناصر الوحدة النصية Elements of textual unit:

وإذا اتفق البحث على أن المقصود بالوحدة النصية أن يكون العمل الأدبي بنية حيّة متكاملة، يجمعها إطار فكرى وشعورى واحد تتصل به أجزاءه اتصالا عضويا، وليست قطعا متناثرة. فمن عناصر الوحدة النصية التى تسهم فى بناءها تنقسم إلى أربعة أقسام الآتية:



فتكوين الوحدة العضوية لعمل أدبي، أو نص أدبي أو قصيدة من القصائد لا يأتى إلّا بوجود العناصر الأربعة السابقة، تفصيلها فيما يلى:

أ- **الصورة الشعرية:** هى وصف من خلال ألفاظ الناص/المبدع ووجدانه بأسلوب خاص، وتتكوّن من العناصر الآتية:

i. **الشفرة اللغوية:** وهى الألفاظ الدالة على الصوت، ووصف الصورة من خلال أدوات/عبارات مبدع.

ii. **تحديد أجزاء الصورة النصية** بألفاظ تصوّر للمتلقي الألوان مثلا: زرقة السمآء، وبياض القمر، واحمرارة الشمس.

iii. **استنتاج أطراف الصورة** بمعنى هناك بعض الألفاظ التي تدلّ الحركة أو قارءالنص يحسّ من خلالها الحركة.

ب- **وحدة الجوّ النفسي:** وهي سمة من سمات النص الشعري المعاصر[6]، فيقصد بوحدة الجو النفسي، وحدة المشاعر التي أثارها هذا الموضوع. وأيضا وتسمى وحدة الشعور ويقصد بها احساس المبدع ينبع من حالة نفسية واحدة تؤثر في بناء القصيدة بحيث يظهر أثرها في الفكرة والألفاظ والصور. وهذا خلاف ما فعله الشعراء الجاهليون، حينما كانوا يتحدّثون في قصيدة ما عن موضوعات متعدّدة، مثل: الصحراء، والصعيد، والمغامرة، والناقة، ووصف الخمر، والوقوف على الأطلال يعني أفكار مختلفة الجوانب في قصيدة واحدة.[7]

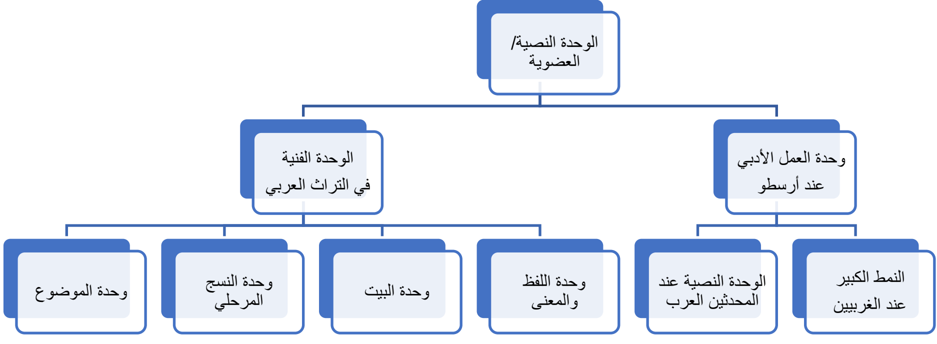
ت- **الحبكة:** وهي البناء الفني لنص أدبي أو الخيط الذي لا نراه، لكنّه يشدّ كل مكوّنات العمل الأدبي، ويحفظ ترابطها فيما بينها بعرض الأحداث المختلفة.

ث- **وحدة الموضوع:** أن تكون القصيدة مترابطة تتحدّث عن فكرة واحدة أو موضوع واحد، بمعنى أن تدور الأفكار الجزئية في تسلسل وترتيب وترابط حول الفكرة العامة.[8]

مظاهر الوحدة النصية Aspects of Textual unit:

هذه الظاهرة من الظواهر التي اهتمّ بها كل من العرب وغير العرب بمظاهر متعددة في درجات مختلفة. ظهرت هذه الظاهرة نتيجة وإمتدادا لظاهرة التماسك النصي عند العرب، فقد كان التماسك النصيي ركنا هاما الذي أسهم في تماسك اللفظ باللفظ والمعنى بالمعنى، ثم تماسك اللفظ بالمعنى، وتماسك الكلمات في الجمل ثم الجمل في

البيت أو الآية، ثم البيت أو الأية في القصيدة، أو السورة، ثم القصائد أو السور بعضها مع بعض، حتى وصل الأمر إلى القرآن الكريم كله بأن القرآن وحدة متماسكة متكاملة، بل إن هناك من المحاولات الحديثة ما يهدف إلى تحقيق نوع من الوحدة بين القصائد والدواوين الكاملة، وقد تتألف مثل هذه الدواوين من مجموعة من القصائد المتكاملة أو من مجموعة من المقاطع التي يمكن أن تشكل في مجموعها قصيدة واحدة طويلة تمتد على طول الديوان[9]، وحتى وصل الأمر إلى أن بعض الباحثين المعاصرين ذهبوا إلى معرفة الأعمال الأدبية لأحد كبار المعاصرين تشرح لك وتبعث أمامك قيمة أعمال طبقة من الموتى بحسب ما بينهم من تشابه واضح، ومن بعض خصائص للأسرة الفكرية التي ينتمون إليها"[10]. فلوحدة نصية في أعمال أدبية مراحل متعددة الجوانب، ومظاهر مختلفة المسميات في المصادر التراثية، ومن أهمها"[11]:



واعتبرها بعض النقاد هي المسميات المتعددة لمدلول واحد وهو "الوحدة النصية" التي تعرف في اللسانية الحديثة ب"النمط الكبير" فالوحدة النصية أو العضوية عند العرب ترادف "النمط الكبير" عند الغربيين في اللسانيات الحديثة[12].

الوحدة النصية في نظر علماء العرب Textual Units According to the Arabian scholars

يستطيع أن يكشف البحث بعض الجواب عن الوحدة النصية في التراث العربي القديم ضمن مجالين على الأقلّ هما: النص الأدبي - القصائد - بصفة عامة، والنص

القرآني المقدس بوجه خاص.

1. **تطور الوحدة النصية في حضن الدراسات الأدبية:** تمحورت معظم الدراسات النقدية لدى السابقين بدأً من اللفظ والمعنى، حتى تثبتت عندهم الوحدةُ النصيةُ لنص أدبي ما؛ لذلك نجدها في التراث العربي قيمة جمالية في بناء النص الأدبي بمراحل متعددة، من أهمها:[13]

وحدة اللفظ والمعنى: ظهرت عدّة الدراسات النقدية حول اللفظ والمعنى، أو اللفظ والتركيب، وتعدّ هذا النوع من الاهتمام لبنة أولى في تكوين الوحدة النصية عند العرب[14].

وحدة البيت: يرى معظم نقاد العرب أن البيت في القصيدة ينبغي أن يستقل بمعناه، وألا يحتاج إلى غيره ليستكمل هذا المعنى وعدّوا من العيوب في الشعر أن يحتاج البيت إلى غيره ليتم معناه[15]؛ لذلك وقف الأوائل عند حدود البيت أو البيتين من القصيدة، وكانت ملاحظاتهم في الغالب الأعمّ على نسق البيت الشعري الواحد، وبصورة تجعل الحديث عن الوحدة تنظم القصيدة كلها وتعتمد على التطوّر صعباً إن لم يكن مستحيلاً، وعلى ذلك قال أبو عثمان الجاحظ: "أجود الشعر ما رأيته متلاحم الأجزاء، سهل المخارج، فتعلم بذلك أنه أفرغ إفراغاً واحداً، وسبك سبكاً واحداً، فهو يجري على اللسان كما يجري الدهان"[16]، كما يقول ابن رشيق "ومن الناس من يستحسن الشعر مبنياً بعضه على بعض، وأنا أستحسن أن يكون كل بيت قائماً بنفسه لا يحتاج إلى ما قبله ولا إلى ما بعده، وما سوى ذلك فهو عندي تقصير"[17].

وحدة النسج المرحلي: يعني النقاد العرب ب"وحدة النسج المرحلي" أن يكون النص ذات أسلوب متقارب، لا يرتفع بعض أجزائها إلى السماء، ولا ينحط البعض الآخر إلى الحضيض، فإن كان في النص هذا اللون من الاختلاف عابه النقاد وذموا صاحبه[18]. وقد اهتم كثير من علماء العرب ب"وحدة النسج" في النص الأدبي، وعاب اختلاف النسج في النص الواحد، وعدّ ابن قتيبة اختلاف

النسج تكلفا، ومحسوبا على مبدع النص، ولذلك أخذ على أبي العتاهية، وعابوا به النابغة الجعدى، كما كانت "وحدة النسج" من الأسباب التى فضّل بها النقاد المبدع على المبدع الآخر[19]، فوحدة النسج المرحلى تختلف تماما من "الوحدة النصية" بحيث أن وحدة النسج هو تماسك النص خلال المراحل المتعددة فى نص ما، فهذا النسج ليس له كرسى معين فى النص بل ينتقل من المرحلة إلى المرحلة المتطورة فى نص ما، كما أنها ركنا مهما من أركان الوحدة النصية، فانتقال الوحدة الصغرى إلى الوحدة المتطورة الكبرى هى الوحدة النسج المرحلى، يقول الدكتور محمد عبد المنعم خفاجى: "وقد انتقلت القصيدة الشعرية من وحدت البيت كما كان سائدا عند أغلب الشعراء والنقاد العرب القدامى إلى وحدة القصيدة كلها، باعتبارها بنية واحدة، وعملا فنيا متكاملا، بحيث لم يعد فى إمكان أحد أن يحذف بعض أجزاء القصيدة الحديثة حذفا، ولا أن يقدم بعض أبياتها على بعض، ولا أن يزيد فيها، ولا ان يخرج أبياتها عن نسقها الفنى"[20].

وحدة موضوع النص الأدبي: لقد كانت "وحدة العمل"[21] من الأنواع التى تناولها أرسطو صراحة واشترطها لحبكة المسرحية التى لها بداية ووسط ونهاية. ويقصد بالبداية أولية لا تحتاج إلى أحداث سابقة، وبالنهاية غاية تضع خاتمة لتطور العمل المسرحى بحيث لا يحتاج هذا التطور إلى مزيد من الأحداث لإكماله[22]. فتأثر العرب بنظرية "وحدة العمل فى المسرحية" وبدؤوا يبحثون عن "الوحدة العمل" فى النصوص الأدبية، بيبانهم العلاقة بين البنية السطحية والعميقة لنص ما[23]، حيث ركزوا على تناسب أفكار القصيدة فشبّهوها ب"خلق الإنسان فى اتصال بعض أعضائه ببعض، فجاءت هذه الملاحظات قريبة مما يقوله المعاصرون حينما يطلبون من القصائد التى تتحقق فيها الوحدة أن ترتبط عناصرها جميعا كما ترتبط الجذر والسياق والأعضاء والأوراق".[24] وذهب بعض النقاد إلى "أن تكون القصيدة كلها ككلمة واحدة فى اشتباه أوّلها بآخرها نسجا وحسنا وفصاحة، وجزالة ألفاظ ودقة معان، وصواب تأليف،

ويكون خروج الشاعر من كل معنى يصنعه إلى غيره من المعانى خروجا لطيفا حتى تخرج القصيدة كلها مفرغة إفراغا لاتناقض فى معانيها ولا وهىً فى مبانيها ولاتكلف فى نسجها تقتضى كل كلمة ما بعدها ويكون ما بعدها متعلقا مفتقرا إليها"[25].

2. **تطوّر الوحدة النصية فى حضن النص القرآنى المقدّس:** نشأت الوحدة المعضوية[26] والصورة الفنية للنص القرآنى خلال معركة النقاد والبلاغيين فى الفصل بين اللفظ والمعنى، فاللفظ هو الصياغة الشكلية والهيكل التركيبى فى العمل الادبى، والمعنى هو الفكرة المجردة التى تفى بالغرض، وقد أوجد هذا الفصل تقسيماً ظاهراً فى النص الأدبى وجعله ذا دلالتين: خارجية تتصل بالشكل، وداخلية تقترن بالمضمون. ولعل المطور لهذا الفصل هو المذهب المعتزلى فى فهمه للنص القرآنى[27]، فهو ذو بعدين: البعد الأول، يتمثل بالفن القولى فى دلالته المحسوسة من اللفظ التى تتشكل بكل صنوف التعابير المجازية والمحسنات البديعية. والبعد الثانى يتمثل بالمعنى الذهنى المجرد الذى يترصده المتلقى فى النفس من خلال معنى ذلك اللفظ، فهما إذن شيئان مستقلان، ليخلصوا من وراء هذا إلى القول بأن هذه الأشكال عارضة متغيرة فهى محدثة. وأن القرآن إنما هو المعنى لاتصاله بذات الخالق، وذات الخالق قديمة، فالقرآن ليس بقديم، لأنه خلاف ذاته تعالى.[28] بل هو من خلقه وصنعته، فهو محدث. إذن: اللفظ والمعنى فى القرآن محدثان، ولا علاقة لهما بالقدم، وكان هذا بداية للبحث عن الألفاظ مرة، وعن المعانى مرة أخرى. ثم تبلورت الفكرة أكثر فأكثر فعاد المحفز لها هو القول بإعجاز القرآن، وأين يكمن هذا الإعجاز، أفى لفظه، أم فى معناه، أم فى العلاقة القائمة بين اللفظ والمعنى، فذهب عبد

القاهر الجرجانى.وهو من أئمة الأشاعرة.إلى القول بالعلاقة بينهما ،ومن ثم جرد اللفظ قالباً ،والمعنى ذهناً ،وصهرهما سوية بأحداث عملية الإعجاز من خلال النظم وحسن التأليف،وكأنه يلمح بل يصرح بأسبقية المعانى فى النفس على الألفاظ،ومهما يكن من أمر فإن هذه المعركة قد انتهت بفصل العلاقات بين الفكر واللغة فعادت اللغة رموزاً تحتاج إلى الحل بما اشار إليه عبد القاهر الجرجانى: "إن اللغة تجرى مجرى العلامات والسمات،ولا معنى للعلامة أو السمة حتى يحتمل الشىء ما جعلت العلامة دليلاً عليه"[29]، وعاد الفكر بهذا التقسيم مستقلاً فى تصوره المعانى.

ومن هنا نشأت الحاجة إلى الصورة الفنية والوحدة الموضوعية المتماسكة للنص القرآنى،باعتبارها أداة لها وطريقتها الخاصة فى عرض المعانى مقترنة بألفاظ ليتفاعل المتلقى للنص القرآنى وهو مرتبط بجزئيه فى وقت واحد،فلا فصل بينهما ولا يتميز أحدهما عن الآخر ،فيكتسب .حينذاك .العمل الأدبى مناخاً يشعرك بالتئام اللغة والفكر بإطار موحد ينهض بسبب النص وتحديده،ويلفت الانتباه إلى طبيعة المعنى فى عرضه وأسلوبه منسجماً مع سلسلة الألفاظ المشيرة إلى المعانى، غير منفصل عنها فى حال من الأحوال،وهنا يندفع المتلقى نحو السير وراء الوحدة الموضوعية فى ظلّ العلاقات القائمة بين اللغة والفكرة.أو اللفظ والمعنى.أو الشكل والمضمون،ويكون طريق كشف هذه العلاقات هو التنقل فى استنباط المعانى من سبل صياغتها فى التشبيه والاستعارة والتمثيل والمجاز.لتقيم الدليل على الذهن بالحس وتلخص إلى القيمة من خلال الظاهر إلى الواقع،ومن مجاز القول إلى الحقيقة،ومن التعبير الاستعارى إلى الأصل الاستعمالى،ومن النظر فى المشبه به لإدراك شأن المشبه،ومن التمثيل إلى كنه الشىء،وهذه هى مجموعة العلاقات فى التماسك النصى.التى تبنى عليها أصول الوحدة الموضوعية والصورة الفنية للنص القرآنى[30].فالقرآن الكريم وحدة فنية تتناسب آياته وسوره يأخذ

بعضه بأعناق بعض، ويفسر بعضه بعضا، وتتكامل آياته ذات الموضوع الواحد، كالبناء المحكم المتلائم الأجزاء، وهذه حقيقة لاشك فيها، وقد قررها العلماء المحققون، وحرصوا على مراعاتها في تعاملهم مع القرآن الكريم.

وقد ورد في القرآن الكريم آيات تدلّ على أن القرآن وحدة متماسكة. قال الله تعالى: "أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا"[31].

وقال: "الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ"[32]

يقول الزمخشري في تفسير هذه الآية "أحكمت آياته" أي نظمت آياته نظاما رصينا محكما لا يقع فيه نقص ولا خلل كالبناء المحكم المرصف[33]. كما استدلّ العلماء المعاصرون بهذه الآيات في إثبات الوحدة الموضوعية للنص القرآني، حيث قالوا: هذه الآيات تقرر حقيقة الجازمة، وتسجل ظاهرة الملموسة في القرآن الكريم، وهي حقيقة الوحدة النصية فيه، وظاهر التماسك المطلق الشامل فيه[34]. كما أكّد المعاصرون على أن القرآن معجز في تماسكه بعضه ببعض، فكل سورة منه متماسكة بما قبلها وما بعدها، وكل آية مترابطة مع الآية التي قبلها والآية التي بعدها، وهو متماسك في معانيه وموضوعاته بحيث يعطي عن كل موضوع منها تكاملا، على الرغم من معالجته في أكثر من موضع، وأكثر من سورة[35] حتى يكون كالكلمة الواحدة، متسقة المعاني منتظمة المباني[36]. فالوحدة الوضوعية من العبارات الشهيرة المتداولة عند المفسرين وعلماء القرآن قولهم: "إن القرآن يفسر بعضه بعضًا". يقول الزركشي: "قيل أحسن طريقة التفسير أن يفسر القرآن بالقرآن فما أجمل في مكان فقد فصل في موضع آخر، وما اختصر في مكان فإنه قد بسط في آخر"[37]. وفي هذا دليل على إدراكهم لمبدأ تماسك النص ليس فقط على مستوى السورة أو الآية وإنما أيضاً على مستوى القرآن كله.

وقد يعبر عن هذا المبدأ بعبارة أخرى مثل قولهم: "القرآن كله كالسورة الواحدة أو هو في حكم كلام واحد". يقول القرطبي في تفسير قوله تعالى: "إنا أنزلناه في ليلة القدر"[38]. "إنا أنزلناه" يعني القرآن، وإن لم يجر له ذكر في هذه السورة؛ لأن المعنى معلوم، والقرآن كله كالسورة الواحدة"[39] ويقول القرطبي أيضًا في تفسير

قوله تعالى: "لا أقسم بيوم القيامة"[40] قيل: إن "لا" صلة، وجاز وقوعها فى أول السورة؛ لأن القرآن متصل بعضه ببعض، فهو فى حكم كلام واحد؛ ولهذا قد يذكر الشىء فى سورة، ويجىء جوابه فى سورة أخرى كقوله تعالى: "وقالوا يأيها الذى نزل عليه الذكر إنك لمجنون"[41] وجوابه فى سورة أخرى: "ما أنت بنعمت ربك بمجنون"[42]، وفى هذا التفات إلى نوع من المناسبة عرف لدى علماء النص بالتناص، ومعناه: "استدعاء نص لنص آخر"[43]، وله فى القرآن طابع خاص إذ يقتصر على القرآن نفسه من خلال آياته. وسنخصه بحديث فيما يستقبل من البحث مؤثرين تسميته باستدعاء النصوص. هذه هى نظرية النصية فى التراث العربى البلاغى النقدى واللغوى، مفهومها ومظاهرها واهتمام العلماء العرب بها ودورها فى بناء النمط الكبير فى النص الأدبى فى اللغة العربية وعلاقتها بالنص القرآنى المقدس وإعجازه، ودورها فى فهم النصوص العربية عامة والنص القرآنى خاصة.

الوحدة النصية فى نظرة علماء اللسانيات الحديثة Textual Units According to the Modern Linguists

تواصلت الدراسات الأدبية والقرآنية عبر القرن الماضى حتى الآن، فتحدّث ملامح الوحدة العضوية وعناصرها سواء فى النص والأدبى بتأثير النظريات الغربية الوافدة، أو فى النسق القرآنى باعتبار هذه الدراسات امتدادا لجهود السابقين دون أن تغفل ما فى الدراسات الحديثة من جهود ونتائج استوعبت الدرس الأدبى والنسق القرآنى نظرية وتطبيقا؛ لذلك ذهب عدد كبير من علماء المعاصرين فى بداية العقد الثالث من القرن العشرين، وكتبوا عن الوحد الموضوعية للقصيدة العربية، أصلا هؤلاء تأثروا بدعوة العقاد وأقرانه من الشعراء والنقاد والمثقفين عموما حتى أصبحت سمة من أبرز سمات الحداثة فى النصوص الأدبية العربية[44].

ولقد كانت الوحدة العضوية من أول ما اهتم به رواد التجديد عندنا من سمات الحداثة فى النص الأدبى العربى، وقد تجلى هذا الاهتمام فى كتابات مطران، والعقاد، وشكرى، فى مقدمات دواوينهم وفى كتبهم الفنية كما تجلى فى أعمالهم الشعرية، وقد اعتبر هؤلاء الرواد الوحدة الموضوعية فى القصيدة مقياسا من أهم المقايس

التي يقومون بها شعراء معاصريهم ليبينوا مدى حظه من الحداثة، وكثيرا ما كان حماسهم لهذه الوحدة يدفعهم إلى نوع من التشدد والصرامة في تطبيقها على شعر معاصريهم، بحيث إذا وجدوا نصا من النصوص الأدبية يمكن تقديم بعض أجزائه على بعض، واعتبروا هذا إخلالا بالوحدة في النص يستحق اللوم والمؤاخذة[45]، وكان ابن الرومي[46] ينظر إلى النص نظرة فنية خالصة، ويقيم النص على أساس متين من الوحدة العضوية والبنية الفنية، ومن ثم راج شعره عند المعاصرين، وكأنه فهم وحدة النص كما يفهمها المعاصرون من حيث وحدة الموضوع، ووحدة المشاعر التي يثيرها الموضوع، وما يستلزم ذلك من ترتيب الأفكار والصور على أن تكون أجزاء النص كالبنية الحية، لكل جزء وظيفته في النص الأدبي، ويؤدي بعضها إلى بعض عن طريق التسلسل الفكري والشعوري[47].

وعلى أساس الوحدة الموضوعية يقوم الحديث الذي ينظر إلى النص جملة باعتباره كلا متكاملا وعملا فنيا واحدا، مرتبط الأجزاء، ملتحم المشاعر، والأفكار والعواطف، متماسكة الدلالات والاشارات، ووضعه في المقام الذي يقتضيه النص الأدبي[48]. ومن ناحية أخرى نرى هناك تيار لساني حديث من علماء العرب، وهذا التيار اللساني يركز على "الوحدة النصية" بأصول ومعايير اللسانية الحديثة، ويهتم بالنص على أنه كل موحد، بدون أيّ تفاوت وتناقض. ف"الوحدة النصية" عند أصحاب هذا التيار "هي جملة أحداث أو وقائع، كل واحدة منها تمثل طورا من أطوار القصة كاملة" أو نقول "هي جملة من العناصر، تترابط بتوفر الروابط التركيبية، والروابط الزمانية"[49]، فالوحدة الموضوعية أو الوحدة النصية عندهم نتيجة وهدف، ولا نجده إلّا بالتماسك النصي.

أما جهود الغربيين/ علماء نحو النص في هذا المجال فهي واضحة تماما في الدراسات النصية. وعند ما كانت ظاهر التماسك النصي نتيجة لمجموعة الأدوات اللغوية والدلالية. فالوحدة النصية هي نتيجة لمجموعة من الأدوات الدلالية والتداولية/ البراجماتية/ التواصلية. بالإضافة تسهم فيها الإجراءات اللغوية. فالذي نحصل عليها بعد كل ما سبق أطلق عليه علماء علم لغة النص "ما بعد التماسك". لكن لم

يتفقوا على هذه التسمية، حتى اصطلحو عليه "رؤية عالم النص **Background of text**". والذى ذهب إلى هذه التسمية هم الجدليون من أتباع ماركس، وهيجل فى المدرسة الجدلية، بالإضافة إلى ذلك ترجع جذور هذه النظرية إلى "هوميوروس" و "أرسطو" وغيرهما من الأدباء والنقاد فى التراث الإغريقى الذى أخذ من أسسه العلمية كل من العرب وغير العرب.

جذور الوحدة النصية عند الغربيين: لاشك أن الأساسيات التى تكوِّن الوحدة أو الحبكة النصية بكل أنواعها هى الأصول والمعايير التى بها فضّل أرسطو اليونانى "الإلياذة" على جميع النصوص الأدبية/الشعرية، والهوميروسّ على جميع شعراء العالم فى ذلك الوقت وما قبله. فقد كان هوميروس يقص عن الحدث العظيم فى التاريخ اليونانى. وهذه الملحمة تعبر عن الأحداث الرئيسة التى حدثت فى الحرب الطروادى بين بطل اليونانى أخيليوس، وأبطال ملك باريس. مع ذلك أن هوميروس لم يقدم فى الملحمة كل ما حدث هناك، لكن كفية سرد الأحداث وحبكة وحدات النص تعبر عن كل ما وقع فى حرب الطروادة؛ لذلك يقول: جابر عصفور فى مقدمة "الإلياذة"[50]: إذا تأملت تماسك الأجزاء الإلياذة وارتباطها بعضها ببعض رأيت أن ناظم النشيد الأول إنما هو ناظم النشيد الأخير. فكأنما هى مرقاة يصعدبك صاحبها درجة بعد أخرى حتى تستقرّ فى آخرها"[51]. وقد ركز جابر عصفور على وحدة النصية وتكلم عنها بعدّة عناوين منها: حبكة الأحداث،[52] ووحدة الأحداث تنظيمها وتناقلها،[53] وارتباط أجزء الملحمة بعضها ببعض[54]. فهذه العناوين مختلفة المسميات متحدة الوظائف النصية. وهى الحبكة داخل النص.

وأوّل من اكتشف ظاهرة الحبكة هو الناقد اليونانى أرسطو الذى عدّها من المعايير التى تحقق الانسجام داخل المسرحية، وتكشف عن قيمتها الجمالية، فهى كالروح للجسد الحى، إذ أن النص الأدبى عنده لابد أن يتكوّن ببناء عضوى فكل جزء منه فى مكانه الصحيح، ومتصل بعلاقة سليمة مع كل جزء آخر، ومع الكل العالم.[55] فأرسطو و كتابه من المصادر التى نجد فيها أصول الحبكة النصية ومعايير تداولية النص كما هو ظاهر من المفهوم الذى ذكرناه فى السطور السابقة. كما ناقشه قضية

الحبك النص الملحمى بقوله : "يجب أن تدور حبكة المفاهيم/الأفكار فى القصة حول فعل واحد تام فى ذاته، وكائن، له بداية، ووسط، ونهاية، وكلها كائن حيّ واحد متكامل فى ذاته. وبهذا يمكنها أن تحدث المتعة الخاصة بها. كما هناك تعاقب الأحداث ضرورى مثلا: من الممكن أن يعقب الحدث الواحد الأخر دون أن يرتبطا بهدف واحد مشترك، وعلى هذا الأساس يتفوق هوميروس على غيره من الشعراء"[56].

فهنا يشير أرسطو إلى عدّة المعايير/ الأدوات التى ناقشها علماء علم لغة النص فى بيان الحبك النصى منها: وحدة الموضوع، وحبك المفاهيم/الأفكار، وحبكة الأحداث، وأطلق عليها "فانداائك"مصطلح الأبنية العليا لنص أو خطاب ما[57]، وعلاقات غير اللغوية بمعنى العلاقات المنطقية/الدلالية، البداية/ الأسباب، الوسط/ موضوعية، النهاية/ النتائج، وغيرها من وسائل الحبك الدلالى عند أصحاب نحو النص. وقد استطاع هذا الناقد الكبير أن يضع بعض المعايير التواصلية، فيقول: "فالفكر هو التأثير الناتج عن الكلام، وكل تأثير ينشأ باستعمال اللغة ويدخل فى ذلك البرهنة، والتنفيذ، وأثارة انفعلات بين الشفقة والخوف"[58].

ففى هذا النص إشارة واضحة إلى تواصلية/ تداولية النص بين مستعمليه من المرسل بالبراهين القاطعة ، ليتأثر به متلقيه. وهذا هو ما فعله التداوليون/البراجماتيون فى تركيزهم على النص فى بيئة المرسل ومتلقيه. وفى القرن العشرين أو قبيل العشرين بدأت عدّة اتجاهات تهتم بالمعنى وما يلازمه فى النص، ومنها: إتجاه دلالى semantics الذى بدأ على يد "بريل"[59] فى الفرنسا، وتطور على يد "بالمر"[60]، و"جون لائنز"[61]. كما نشأ هذا النوع من الترابط المعنوى فى حضن الاتجاه البنيوى بصفة عامة، وفى كتابات دى سوسير، و رومان ياكبسن الذى اهتم به فى التحليل النصى بمصطلح االموضوعية "Theme"[62]، فقد نقل عن "Edward[63] Sapir" "بأنه أفكار مؤحدة بتماسكها الداخلى".[64] ويؤ كد "رولان بارت"[65] عن بعض عناصر الحبك النصى قائلا: "إن الحبك النصى ليس له فقط معنى وحيد أو معانى مترابطة منطقيا وسببيا تفضى إلى معنى نهائى، وإنه يتشكل من تضافر وتشابك وانجدال عدد من أدوات الحبك. فالحبك هو مجموعة من الإحالات، والاقتباسات،

والقواعد المقروئية، والبناء الرمزى، والمناخ الأيديولوجى التى تمنح النص مظهر الترابط".[66] وقد تطور هذا النوع من التماسك النصى بعد نصف الثانى من القرن الماضى بجهود مجموعة من المدارس الألسنية الحديثة والنقدية منها:

المدرسة الجدلية وعلاقتها بالوحدة النصية: تنسب هذه المدرسة إلى هيجل لكن تأثرت من أفكار ماركس أيضا؛ لذلك يقال "المدرسة الجدلية والماركسية"[67] فى الأدب الاجتماعى. تدرس هذه المدرسة النص الأدبى من ناحية كيفية، بمعنى أن النص الأدبى لابد له من قيمة جمالية؛ لذا ركزت هذه المدرسة على البحث عن العلاقة بين المبدع/الناص/ الأديب والمجتمع من ناحية، وبين الأدب والمجتمع من ناحية أخرى، ترددت هذه الأسئلة حول الأدب حتى جاء ناقد وفيلسوف كبير "جورج لوكاش"[68] وأجاب قائلا: "أن العلاقة بين المبدع والمجتمع علاقة تبادلية، بمعنى أن الأديب ابن البيئة، فهو لايسقط من السماء، يؤثر فى المجتمع ويتأثر منه، فتماسك المنظومات الثقافية، والانتاجات الأدبية من أهم حلقات الوحدة النصية عند هذه المدرسة.[69]

وأطلق على هذا "جولدمان لوسيان"[70] مصطلح "البنيوية التكوينية" وهى منهجية تحاول البحث عن العلاقات الرابطة بين بنية النص وسياقه الاجتماعى، ولا ينظر إلى هذه العلاقات على أنها مجرد اتساق أو تواز بسيط ، وإنما يعتبرها اندماجا تدريجيا بين سلسلة من الجمل أو الكليات النصية. فالتماسك بين الأبنية الدلالية من ناحية ، والوعى الجماعى من ناحية أخرى، والتواصل بين المبدع، ومتلقى النص، من أهم الحلقات عند جولدمان لوسيان والتى أطلق عليها مصطلح "رؤية العالم للنص Background of Text "؛ لذلك يعتقد بعض الباحثين أن كل عمل أدبى يتضمن "رؤية العالم"، ليس النص الأدبى المنفرد فحسب، لكن الانتاج الكلى للأديب، ولعصر معين، وعن طريق رؤية العالم يمكننا أن نرى بشكل صاف كيفية تبلور العلاقة الخلاقة بين النصوص الأدبية من ناحية، والوقائع الاجتماعية الخارجية من ناحية أخرى[71]. ونظرية رؤية العالم أو البنيوية التكوينية من أهم صور التماسك المتطورة التى أدخلت فى ما بعد فى التداولية فى اللغة الانجليزية بصفة

عامة وعند مدرسة علم لغة النص بصفة خاصة.

المدرسة النصية: تنسب هذه المدرسة إلى مجموعة من العلماء الغربيين بصفة عامة وعلماء نحو النص بصفة خاصة منهم "هاريس "Harriss"[72]، و"تينو فاندائك"[73]، و "هاليداء"[74]، و "دريسلر"[75]، و"بيوجراند"[76] كلهم اتفقوا على أن الوحدة النصية يعني بها "استمرار المضمون بمعنى التشكيل المعنوى، فهو ليس مجرد ملمح للنصوص، بل نتيجة عمليات إدراكية لمستخدمى النص؛ ومن ثَمَّ لن تنشأ الوحدة النصية إلّا من خلال ربط النص بمعرفة عالم النص المختزنة لدى شريك الاتصال"[77]؛ فبذلك نستطيع أن نقول: إن الوحدة النصية لا نعنى بها الترابط المعنوى فقط، بل يعنى بها "الوسائل التى تربط أجزاء النص الداخلية، وعلاقتها بالبيئة التى يستخدم النص/الخطاب.

النمط الكبير"Larger patterns": النمط الكبير من المصطلحات التى ترادف "الوحدة النصية" عند التواصليين"[78]. فالنتيجة الأدبية التى أطلق عليها بعض الماركسيين والجدليين، وعلماء اتجاه الكيفي فى الأدب مصطلح "رؤية العالم للنص".[79] كما أطلق عليها التواصليون بصفة عامة و"رافائيل سالكى"[80] بصفة خاصة مصطلح "النمط الكبير Larger patterns". ويعتمد هذا النمط فى بنائه على مجموعة من المعايير الأساسية التى تسمى "BPSE". فهذا مخفف لأجزاء أربعة التالية81:



ويمكن رؤيتها على أنها إجابات عن قائمة الأسئله مع بعض التفصيلات، ويستطيع

هذا البحث أن يصنفها فيما يلي:

1- ما هي الخلفية؟ (أي الزمان والمكان والناس. الأشياء التي يمكن وجودها في هذا النص؟ ماذا نحتاج إلى معرفته لنفهم الجزء التالي: المشكلة؟)

2- ما هي المشكلات الموجودة في هذا الوضع؟ المشكلة (عن أي شيء يدور هذا النص في الدرجة الأولى؟ ما المأزق، اللغز، العقبة، النقص في هذا النص؟)

3- ما هو الحل لهذه المشكلة؟ أو كيف قمنا بالحل؟ هل خرجنا من المأزق "Deadlock"؟ أتم حل اللغز "complex"؟ والتغلب على العقبة "barrier"؟ هل عولج النقص؟

4- كيف يمكن تقييم هذا الحل؟ ما مدى نجاح الحل في الخروج من المشكلة؟ وإذا كان هناك أكثر من حل فأيها أفضل؟

وهذه المعايير الأربعة تُذكّرنا ما قدمه "دي بيوجراند"[82] من المعايير السبع لتكوين النص، وخاصة معايير "المقامية، القبولية، المقصدية، الإعلامية" كل هذه المعايير تتعلق بتواصلية النص؛ لأن أحيانا تكون النصوص متماسكة؛ لكن لانستطيع أن نصل إلى -BPSE- لأن المعلومات الواردة فيها منظمة بطريقة خاصة, في تحليل هذا النوع من التراكيب لا نستطيع أن ننظر إلى النصوص منفردة، بل لابد بالتزامن مع المعرفة والتوقعات عن مستخدمي اللغة. ملخصا لكل ما سبق يمكن لنا أن نقول إن الوحدة النصية/النمط الكبير من أهم الظواهر التي تهتم بها منذ عدّة قرون، وحتى في العصر الحديث هي من القضايا اللسانية التي بها يهتم اللغويون الغربيون، وقد دارت جهود علماء العرب القدامى و المحدثين حول النص القرآني المقدس وتناسق مفاهيمه، وتلاحم أحداثه، وترابط كلماته وآياته بعضها ببعض حتى وصلت أرآؤهم إلى أن النص القرآني معجز بوحدته النصية.

الخاتمہ Conclusion and results

يخلص البحث بأن الوحدة العضوية/النصية من الظواهر التي لجأ إليها عدّة

ثقافات بدأء من اليونان حتى علماء العرب المحدثين، بالإضافة إلى ذلك حاول القدماء من العرب أن يصلوا إلى قيم فنية لنقد النصوص، ولم يكن البحث اللغوى واقفا عند حد الجملة كما يحلو لبعض الباحثين المحدثين أن يصوره؛ لكنه لم يكن يبحث النص بالمفهوم الذى نتناوله به الآن. فهم من الأوائل الذين حدّدوا لها عدّة أنواع من العلاقات فى النص، وبينوا كيف تترابط النصوص الصغيرة مكونة النص الكبير فى بيان مدهش. لكن يبقى أنهم لم يُكونوا من هذه الملاحظات نظرية لغوية لنقد النصوص، هذا فقط هو ما ينقص عملهم ليكون عملا علميا رائعا.

وصل البحث إلى أن العرب قسموا الوحدة إلى: "وحدة اللفظ والمعى، ووحدة البيت، ووحدة النسج المرحلى، ووحدة الموضوع، والوحدة العضوية/النصية.

أنتج البحث بأن العرب وعلماء النص الغربيين قد تأثروا فى هذه الظاهرة بآرا المناطقة والفلاسفة القدماء وعلى رأسهم أرسطو وأعماله الأدبية والنقدية بصفة عامة، وبالوحدة العملية" بصفة خاصة.

أشار البحث إلى أن الوحدة النصية تطورت فى رحاب خدمة النص القرآنى المقدس من ناحية، وفى حضن النصوص الأبية من ناحية أخرى فى التراث العربى.

يمكن أن يقرّرَ هذا البحث بأن أصول الوحدة النصية/ النمط الكبير ليست حديثة، لكن الجديد هو الكشف عنها، ومحاولة توظيفها بشكل عملى؛ فقد كان عند علماء العرب القدامى حس لغوى صحيح، وكانت لديهم رؤية مبكرة فى البحث اللغوى والنقدى، ويمكن لمن جاء من بعدهم أن يستثمر هذه الرؤية ويطورها فتصل فى النهاية إلى حد النظرية العربية فى اللغة والنقد؛ غير أن من جاء بعد هؤلاء العظام اكتفى بأن يكرر ما قالوه بفهم أو بغيره من التوضيحات.

ولا ينسى هذا البحث بأن علماء علم لغة النص أسهموا فى تحديد هذه النظرية وتوضيحها، وتطبيقها بصفة خاصة.

وقد وصل البحث إلى أن النص مكون من الأبنية الصغرى والعلياء ثم الكبرى، وبتماسكها يصل الأمر إلى النمط الكبير الذى يعنى به الوحدة النصية لنص ما.

هوامش

[1] د. محمد عبد المنعم خفاجي، مدارس النقد الأدبي الحديث، دار المصرية اللبنانية، ط.1995/1، :144-146-145

2 الأستاذ. الدكتور سعيد حسن بحيري، علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، :15-17.

[3] د. عبد الحكيم حسان، مذاهب الأدب في أوربا دراسة تطبيقية مقارنة، دار المعارف، ط.2، 1979م، :23-24

[4] هو "رافسل السالكي" أستاذ في الجامعة كيمبرج، صاحب عدّة كتب ومقالات في علم اللغة النصي، وعلم الدلالة، ومن أهم كتب، النص والخطاب والتحليل.

[5] Text And Discourse analysis, by Raphael salkie, published by Routledge 1995. p: 91

[6] فهي سمة لها جذور عميقة في المنهج النفسي عند علماء النفس وعلى رأسهم فرويد صاحب كتاب: "تفسير الأحلام".

[7] فهنا كانوا يعتمدوا ان على وحدة البيت في القصيدة دون وحدات أخرى، مثل: وحدة الموضوع، ووحدة العضوية/النصية.

[8] د. أحمد أحمد بدوي، أسس النقد الأدبي عند العرب، :319، الدكتور محمد ديب الجاجي في كتابه النسق القرآني دراسة أسلوبية، :651—654.

[9] د. علي عشري زايد، عن بناء القصيدة العربية الحديثة، مكتبة ابن سيناء، ط.1، 2002م، :35.

[10] د. محمد غنيمي هلال، الرومانتكية، دار العودة بيروت، ط.6، 1981م، :234.

[11] د. محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، نهضة مصر، ط.2005/6م: 204

[12] وقد حاول بعض الباحثين أن يفرقوا بين هذه المسميات، لكن فشلوا في تفرقة هذه المصطلحات، وكيف يميزون بين هذه المسميات وهي مسميات لمدلول واحد. والذي ذهب إلى تفريق هذه المصطلحات هو الدكتور محمد ديب الجاجي في كتابه النسق القرآني دراسة أسلوبية، ص 651—654.

[13] اختلف علماء العرب في وحدة الموضوعية للنص، فأنكر بعضهم وأثبت بعضهم، فمنهم من ذهب إلى أن هذه الظرة لم تكن موجودة عند العرب في نصوصهم الأدبية، ولذلك تتميز القصيد العربية القديمة بأنها غالبا لا تربطها وحدة موضوعية فكثير من القصائد تخلو من الوحدة الموضوعية، ولذلك استدل العقاد بضعف وحدة القصيدة في الشعر الجاهلي على أن الشعر لم يكن فنا يستقل بصناعة الخبير ونبه، حتى نقد العقاد بعض قصائد الشوقي بأنها تفقد الوحدة العضوية، أي وحدة الموضوع، وحتى عاب نقاد العرب أن العقاد لم يهتم بوحدة الموضوع مع ذلك كانت القصيدة عنده مجموعة من المعاني تدور حول موضوع واحد، ولكنها على الرغم من ارتباطها بالموضوع الواحد لم تكن أجزاؤها مرتبطة ارتباطا عضويا عنده.

وذهب الفريق الثاني من علماء العرب إلى وجود وحدة البيت في النصوص الأدبية واهتم بوحدة البيت في القصيدة، والذي سلك هذا المسلك هو ابن رشيق القيرواني في العمدة.

أما الفريق الثالث: فهو جمهور علماء العرب، ومن المستشرقين "نولدكة الهولندي" يقول عن الشعر الجاهلي: "وفي أحوال كثيرة يحتفظ الشاعر الجاهلي بوحدة الفكر في القصيدة بأن يجعل كل قسم من من أقسامها خاصا بوصف مناظر وحوادث من حياة الشاعر نفسه. ومن علماء العرب الذين اهتموا ب"وحدة النصية" ابن قتيبة، والقاضي علي عبد العزيز الجرجاني، والحاتمي، روى عن الحاتمي أنه كان يمثل "قصيدة" بالإنسان، بقوله "مثل القصيدة مثل الإنسان في اتصال بعض اعضائه ببعض" (مدارس النقد الأدبي الحديث عبد المنعم الخفاجي، ص146-147)

[14] الحاجة ندر حياتي بنت الحاج عبد الكريم، قضايا النقد الأدبي في مقدمة ابن خلدون، بروناء دار السلام، 2009م، ص2005، د. أحمد أحمد بدوي، أسس النقد الأدبي عند العرب، ص319

[15] د. أحمد أحمد بدوي، أسس النقد الأدبي عند العرب، :317

[16] الجاحظ في البيان والتبيين، 1:67.

[17] ابن رشيق القيرواني، العمدة، :158

[18] أسس النقد الأدبي عند العرب، :490

[19] العمدة، :119

الأزهر الزناد، نسيج النص بحث فيما يكون به الملفوظ نصا، المركز الثقافي العربي، ط.1/1993، ص79-80

أسس النقد الأدبي عند العرب، ص493

[20] مدارس النقد الأدبي الحديث عبد المنعم الخفاجي، ص148

[21] أ.د. بدوي طبانه، التيارات المعاصرة في النقد الأدبي، دار المريخ، سنة 1986م، ص341-342-343.

[22] د. عبد الحكيم حسان، مذاهب الأدب في أوربا دراسة تطبيقية مقارنة، دار المعارف، ط.2، 1979م، ص23-24

[23] البنية السطحية أي اللفظ، والبنية العميقة أي المعنى، كلاهما من أهم لبنات النص ووحدة النصية، إذ يرى كثير من العرب أن تماسك اللفظ والمعنى معا يؤدي إلى تماسك النص، وتماسك النص، يؤدي إلى أن يكون النص وحدة متماسكة متكاملة، فاللفظ والمعنى ركنا الأدب، وبهما يؤثر في النفس، ويملك القلب تأثيره البليغ بمعناه ولفظه معا، وخير ما يمثل ذلك قول ابن رشيق: "اللفظ جسم، وروحه المعنى، وارتباطه به كارتباط الروح بالجسم، يضعف بضعفه، ويقوى بقوته، فإذا سلم المعنى واختل بعض اللفظ كان نقصا للشعر وهجنة عليه. (العمدة، ص80)

[24] يوسف حسين بكار، بناء القصيدة العربية، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، ص306

[25] ابن طباطبا العلوي، ص124-127

[26] تعرض بحث الوحدة الموضوعية لتماسك النص القرآني بوجه خاص لذكر عدد من المصطلحات تقترب بمصطلح الوحدة الموضوعية، مثال ذلك: "الوحدة الفنية، الوحدة العضوية، الوحدة النصية"، كل هذه

المصطلحات المتعددة لنتيجة واحدة وهو وحدة نص ما. لكن ذهب بعض العلماء المحدثين إلى أن هذه المسميات المتعددة لمدلولات مختلفة، ليست لمدلول واحد، ففرقوا بين كل واحدة منها على حدة. فمصطلح "الوحدة الموضوعية" يرتبط بتحديد موضوع تشريعي أو تربوي في السورة الواحدة، أو بعدة موضوعات فرعية ترتبط بالهدف العام للسورة، أو بالهدف العام الوارد في السورة الأم والسور الأخرى التابعة لها، على رأى من أخذ بتقسيم السور القرآنية إلى مجموعات حسب الموضوعات، فإذا أوجزت السورة الأم موضوعا جاءت السور بعضها تفصل في هذه الموضوعات والمحاور، وقد بنى هذا التصور على تقسيم صور القرآن الكريم إلى أقسام: سبع الطوال، الأوساط، القصار. فالسبع الطوال من البقرة إلى براءة تشكل مجموعة، وسورة يونس، وهود من زمرة واحدة من مجموعة واحدة. وقد أثبت العلماء أن ما بين آخر سورة البقرة "هدى للمتقين"، وفي الفاتحة "إياك نعبد"، وفي القسم الأول من البقرة "يا أيها الناس اعبدوا ربكم". وهكذا فمقدمة سورة البقرة مرتبطة بآخر فقرة من الفاتحة.

أما الوحدة العضوية: فهو مصطلح نجده في كتابات الدارسين المحدثين في الدراسات القرآنية، لأن الوحدة العضوية لا تعنى اكثر من الانسجام والتلاؤم بين الصيغ الفنية والتعبيرية في السورة لأداء المعنى والتعبير عن الموضوع، ومقياسها: ترتيب أجزاء الفكرة، ونمو الصورة، ودلالة هذا النمو على الحركة الشعورية، كما يستلزم الحديث عن الوحدة العضوية أيضاً التفكير في منهج النص أو السورة وفي الأثر الذي يحدثه في المتلقي، والأجزاء التي تعاونت على إحداث هذا الأثر، بحيث نتمشى مع بنية السورة بوصفها وحدة حية، ثم في الأفكار والصور التي يشتمل عليها كل جزء وتتحرك به السورة إلى الأمام لإحداث الأثر المقصود منها عن طريق ما من أنواع التتابع المنطقي أو النفسي أو التربوي، حيث تتسلسل الأحداث والمواقف والأفكار من خلال وحدة الطابع الخاص بشخصية السورة في الدراسات القرآنية، إلا أنه اقترب كثيرا من مصطلح الووحدة الفنية والأدبية الذي تتردد في كتب النقاد والبلاغيين.

لكن المصطلح "الوحدة الفنية" مصطلح عام بنسبة المصطلحات الأخرى، ولذلك يقول بعض الباحثين، لعل هذا المصطلح يستوعب مساحات ودلالات في النسق القرآني أوسع مما ذهبت إليه المسميات الأخرى، لما فيه من الشمول على ما ذكر من مضمونها، وإضافة لأمور أخرى كثيرة امتاز بها مصطلح الوحدة الفنية عن غيره.

أ. هذا المصطلح يلتقي مع مفهوم الوحدة العضوية في دراسة النص بمفهومه المركب، وربط كل جزء فيه بالاطار العام أو الكل، وفكرة الاطام العام الذي يجمع بين آيات السورة هي فكرة أصيلة في الدراسات القرآنية، والسورة متعددة الأغراض ليس لها سوى وحدة الاطار العام، ولذا كانت الوحدة الخاصة بالسورة ليست وحدة موضوعها.

ب. إضافة لاهتمام الوحدة الفنية بالإطار العام للسورة فإنها تهتم أيضا بأمور أخرى مما يتصل بالتصرف في اللغة نفسها من ناحية الاشتقاق وتعدد الصيغ، ثم من ناحية التركيب، واختيار المفردات على نحو يجمع بين إثارة الوجدان والعقل جميعا، سواء في ذلك كله الوحي المكي أو

المدنى، ومن هنا كانت الوحدة الفنية فى أدق معانيها هى السمية البارزة لهذا النظم الإلهى،
فهو السمو باللغة إلى مستوى يجعلها متكافئة مهما اختلف الموضوع وتشعبت طرائق المعانى.
وفكرة الوحدة الأدبية الفنية وأصولها فى النص القرآنى شغلت المفسرين فى الفترة التى عاشها البقاعى، كما شغل بها قبله أبو حيان. وهذه الظاهرة الجديدة تشكل منطلق الحركة الباحثة عن اصول الوحدة الأدبية فى النص القرآنى. والوحدة الفنية بهذا التقريب تتصل بسبب قوى بمصطلح "التماسك النصى" الذى استخدمه الدارسون فى كتاباتهم الأدبية. (الدكتور محمد ديب الجاجى فى كتابه النسق القرآنى دراسة أسلوبية، ص 651—654).

[27] فصّلنا هذه القضية فى بحث النظم وتطوره عند علماء العرب.

[28] محمد عبد الهادى أبو ريدة، نصوص فلسفية عربية، ص 23.21 ؛ على سامى النشار، نشأة الفكر الفلسفى فى الإسلام، ص 142،؛ جابر عصفور، الصورة الفنية، ص 382

[29] الجرجانى، أسرار البلاغة، تحقيق: الدكتور هلموت ريتر، مطبعة وزارة المعارف، استانبول، 1945 م، ص 347

[30] د. محمد حسين على الصغير، نظرية النقد العربى رؤية قرآنية معاصرة، موسوعة الدراسات القرآنية، دار المؤرخ العربى، بيروت لبنان، ص 8-9

[31] النساء/82

[32] هود/1

[33] الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل، من منشورات البلاغة، ج/2 ص 377.

[34] د. صلاح الخالدى، المنهج الحركى فى ظلال القرآن الكريم، دار المنأة جدة، ط. 1986/1 م، ص 152

[35] د. رفعت فوزى، الوحدة الموضوعية للسور القرآنية، دار السلام بيروت، ط. 1986/1 م، ص 5-6

[36] الزركشى، البرهان فى علوم القرآن، ج/1 ص 36.

د. محمد فريد راوى، الإمام عبد الحميد الفراهى وجهوده فى تفسير وعلوم القرآن، دار الشاكر للتباعة والنشر والتوزيع، ص 62—63-64

[37] الزركشى، البرهان فى علوم القرآن، دار الجيل، بيروت، 1988 م، 175/2.

[38] القدر .1

[39] تفسير القرطبى، دار الشعب، القاهرة 1372 هـ، 129/20.

[40] القيامة .1

[41] الحجر 6

[42] القلم .2

[43] د. أحمد الزعبى، تعاريف التناص التناص نظرًيا وتطبيقيًا، عمان، 2000 م. ص 11-19.

[44] أ. د. بدوى طبانه، قضايا النقد الأدبى، دار المريخ، سنة 1984 م، ص 85

[45] د. علي عشري زايد، عن بناء القصيدة العربية الحديثة، ص28-29-30-31

[46] هو أبو الحسن علي ابن عباس بن جريج، وقيل جورجيس، المعروف بابن الرومي، مولى عبيد الله بن عيسى بن جعفر بن المنصور، الشاعر المشهور صاحب النظم العجيب. ولد في بغداد سنة 221هجري في الموضع المعروف بالعقيقية ودرب الختلية، وكان يوناني الأصل. (ديوان ابن الرومي، مع شرح الأستاذ أحمد حسن نسج، من منشورات محمد علي بيضون دار الكتب العلمية، ج1/ص7.

[47] مدارس النقد الأدبي الحديث عبد المنعم الخفاجي، ص148-149

[48] أسس النقد الأدبي عند العرب، ص328

[49] الأزهر الزناد، نسيج النص بحث فيما يكون به الملفوظ نصا، ص121

[50] هي أقدم مجموعة من الأشعار الملحي، تتحدّث عن بطولة اليونانيين وعلى رأسهم أسخيليوس مع ملك باريس في حروب الطروادة.

[51] هوميروس، الإلياذة، ترجمة سليمان البساني، مع تقديم د. جابر عصفور، المشروع القومي للترجمة ميرث الترجمة، 54/1

[52] هوميروس، الإلياذة، ترجمة سليمان البساني، مع تقديم د. جابر عصفور 35/1

[53] هوميروس، الإلياذة، ترجمة سليمان البساني، مع تقديم د. جابر عصفور 50/1

[54] هوميروس، الإلياذة، ترجمة سليمان البساني، مع تقديم د. جابر عصفور 54/1

[55] أرسطو، فن الشعر، ترجمة وتعليق : د. ابراهيم حمادة، الناشر : مكتبة الأنجلو المصرية، ص 25-100-103-116-117

[56] أرسطو، فن الشعر، ص201

[57] تيون فانداتك، علم النص مدخل متداخل الإختصاصات، ترجمة : د. أ. سعيد حسن بحيري، دار القاهرة للكتاب، ط.1سنة 2001، ص208

[58] أرسطو، فن الشعر، ص124

[59] هو عالم لغوي في فرنسا، تطوّر على يده علم الدلالة وعلم المعنى، وهو من أوائل المحدثين الذين لجأوا إلى هذا المجال في اللغات الأوربية الحديثة.

[60] وهو من العلماء البارزين في اللغات الأوربية أيضا.

[61] وهو من العلماء الإنجليزيين الذين أسهموا في تطوير علم الدلالة اللغوية في القرن العشرين. د. محمد أحمد حماد، مدخل إلى التفكير الدلالي، ص16

[62] مصطلح Theme يرادف مصطلح الوحدة العضوية/النصية في اللسانيات الحديثة.

[63] إدورد سابير من العلماء الأوائل الذين طوّرت اللسانيات الحديثة في العصر الحديث.

[64] رومان ياكبسن، الاتجاهات الأساسية في علم اللغة، المركز الثقافي العربي، مع ترجمة علي حاكم صالح، و د. حسن ناظم، ط.1 سنة 2002، ص9

[65] ولد رولان بارت في شيربورغ عام 1915م، أمضى بارت طفولته في بايون في جنوب، وحصل دراسته الإبتدائية والثانوية في باريس، عيّن بارت في كلية الفرنسية عام 1977م وتوفي في عام 1980م. وله عدة مقالات التي نشرت في المجلات المتعددة، ومن أعماله: رولان بارت بقلم رولان بارت، كاميرا الوسيدا، تأملات حول التصوير. ينظر: خمسون مفكرا أساسيا معاصرا من البنيوية إلى ما بعد الحداثة لجون ليشتة، ص253-254.

[66] التحليل النصي تطبيقات على النصوص من التوراة والانجيل القصة القصيرة، ترجمة، عبد الكريم الشرقاوي، دار التكوين، ص2009

[67] الماركسيين: الذين ينسبون أنفسهم إلى كارل ماركس "الشيوعيين". والجدليين: هؤلاء أيضا من الماركسيين لكن ينسبون أنفسهم إلى "هيجل" أو نظرية هيجل الجدلية. تعتقد هذه النظرية إلى أن الإنسانية مجتمع واحد لافرق بينها، وأن التفرقة من حيث طبقات المجتمع صراع بين المجتمع، فتقسيم المجتمعات إلى الطبقات- الدنيا، الوسطى، العليا- يسبب الصراع والجدل بين المجتمعات الإنسانية، وسينتهي هذا الجدل بنهاية التقسم الطبقي.

[68] هو عالم أمريكي، ولد في عام 1944 في الكيليفورنيا في الولايات المتحدة الأمريكة، تطوّرت على يده عدّة نظريات أدبية الإنجليزية. وهو أيضا صاحب الكتب العديدة.

[69] د. عبد العزيز السميري، اتجاهات النقد الأدبي العربي في القرن العشرين، دار الأفاق العربية بالقاهرة، ط.1 سنة 2011م ص58-59

[70] هو من رواد الاتجاه الكمي في علم الاجتماع الأجناس الأدبية، وهو من الشيوعيين الجدليين في إتجاه ماركسي.

[71] د. صلاح فضل، مناحَتّى النقد المعصر، هيئة المصرية العامة، ص52-23

د. محمد غنيمي هلال، الرومانتكية، دار العودة بيروت، ط.6 سنة 1981م، ص230-232

[72] هو زليج هاريس z.s. Harris عالم لغوي وفيلسوف، ولد في الولايات المتحدة الأمريكة 1909م، وتوفي 1992م. أسهم في علم اللسانيات عامة وعلم اللغة النصي خاصة بعدة كتب وبحوث ونظريات مفيدة. ينظر: موقع الهاريس.

[73] ولد هذا العالم في القرن العشرين في نيدرلنيد، فهو عالم لغوي كبير، وخاصة في ميدان علم اللغة النصي. وقد تطورت أفكاره النصية في النصف الثاني من القرن العشرين. ومن أهم أعماله في علم اللغة النصي عدة كتبه منها: النص والسياق، الخطاب والسلطة. موقع Teun A. van Dijk

[74] مايكل هاليداي 1925م ولد في إنجلترا الأسرة جامعية، ودرس اللغات متخرجا في جامعات بكين وإنجلترا سنة 1955، تحصل سنة 1981 على جائزة دافيدراسل للبحث المتميز في تعليم الإنجليزية من المجلس الوطني لمعلمي الإنجليزية بأمريكا. وله أعمال تغطي قطاعات لسانية متنوعة منها لسانيات النص والتعليمية والشعرية واللسانيات العامة، وهو صاحب نظرية في النحو تعرف بنظرية النحو

النظامي، ألف بالاشتراك مع زوجته هندية الأصل رقية حسن كتاباً حول الاتساق في اللغة الإنجليزية سنة 1985. ينظر: في أعلام اللسانيين المعاصرين، إدارة عامة.

[75] هو من أهم علماء النص الذي تطور على يده علم اللغة النصي في الولايات المتحدة الأمريكية، كما هو زميل أستاذ روبرت دي بيوغراند بجامعة فلوريدا. ينظر: كتاب مدخل إلى علم لغة النص، ص 7

[76] وهو عالم إنجليزي من علماء اللغة النصي، وأستاذ بجامعة فلوريدا بالولايات المتحدة الأمريكية، في اللسانيات النصية في الثمانينات من القرن الماضي، عرّفه النص والخطاب بأنه "حدث تواصلي يلزم لكونه نصاً أن تتوافر له سبعة معايير للنصية مجتمعة، ويزول عنه هذا الوصف إذا تخلف واحد من هذه المعايير وهي: السبك والحبك والقصد والقبول والإعلام والمقامية والتناص".

وله عدة كتب في علم اللغة النصي من أهمها كتابه المشهور Text, Discourse and

Process. Toward a multi disciplinary science of text, published by Alex Publishing Corporation Norwood new jersey 1980

"**Introduction to text linguistics, published Robert de Beaugrande and Dressler in their book by Longman London and new York 1981.**

[77] مدخل إلى علم لغة النص، ترجمة وتعليق: د. أ. سعيد حسن بحيري، مكتبة زهراء الشرق، ط. 1 سنة 2004، ص 16

[78] التواصليون: هؤلاء الذين ينسبون أنفسهم إلى "النظرية التواصلية" في اللسانيات النصية الحديثة. بدأت هذه النظرية على يد عدد كبير من علماء اللسانيات الحديثة في القرن الماضي. ترى هذه النظرية أن كل النص الأدبي ينقسم إلى عناصر الداخلية والخارجية. فالداخلية مثلا: اللفظ، والمعنى، والسياق الداخلي. أما الخارجية: فهي مثلا: المبدع، والمتلقي، والسياق الخارجي والنتائج. فكل هذه العناصر تتشابك فيما بينها في تكوين الوحدة النصية لنص ما. د. حسن محمد عبد المقصود، مركز تنمية العلوم واللغات- جامعة السلطان الشريف علي الإسلامية بروني دار السلام، كلية التربية- جامعة عين شمس مصر، ص 16

[79] د. عزة شبل، علم لغة النص، ص 254

[80] وهو من العلماء البارزين في اللغة الإنجليزية بصفة عامة وفي اللسانية النصية خاصة في جامعة برائتن "**University of Brighton**"، وكتب فيها عدّة كتب منها: **Text And Discourse analysis**، وأوضح فيه كلّ ما يتعلق بالتواصلية النصية.

[81] **Text And Discourse analysis, p: 91**

[82] وهو عالم إنجليزي في اللسانيات النصية في الثمانينات من القرن الماضي، عرّفه النص والخطاب بأنه "حدث تواصلي يلزم لكونه نصاً أن تتوافر له سبعة معايير للنصية مجتمعة، ويزول عنه هذا الوصف إذا تخلف واحد من هذه المعايير وهي: السبك والحبك والقصد والقبول والإعلام والمقامية والتناص".

Robert de Beaugrande and Dressler in their book "Introduction to text linguistics, published by Longman London and new York 1981.